مساعد رئيس جامعة الحديدة أستاذ علوم البيئة- عضو مؤتمر الحوار الوطني دكتور عزي هبة الله لـ(الثورة)

البحر الأحمر مقلباً للنفايات الخطرة والجهات المعنية لم تحرك ساكناً

.. بين الحين والآخر نسمع عن مشاكل بيئية كارثية في البحر الأحمر كإفراغ سفينة لنفايات قاتلة للبيئة والأحياء البحرية والثروة السمكية في مياه البحر الأحمر الاقليمية اليمنية، كما أن هناك معلومات تؤكد أن ثمة كميات من النفايات تدفن في بعض مناطق محافظة الحديدة، والأودية الزراعية الخصبة في تهامة.. وآخر ما سمعنا به هو اندلاع النيران من باطن الأرض في حي السلام بمحافظة الحديدة، في ظاهرة نشرت الذعر والخوف في نفوس سكان الحي وتناقلتها كثير من وسائل الاعلام والمواقع الالكترونية..

(صحيفة الثورة) من خلال مساعد رئيس جامعة الحديدة للدراسات العليا والبحث العلمي الدكتور عزي هبة الله علي شريم - أستاذ علوم البيئة بالجامعة- عضو مؤتمر الحوار الوطني الشامل.. حرصت في هذا الحوار الصحفي على تسليط الضوء على أهم المشاكل البيئة الناتجة عن الملوثات التي تنتشر في تهامة والبحر الأحمر والتي تعكس مدى غياب المسئولية الوطنية لدى الجهات المختصة..

الدكتور شريم عرج أيضاً على الكثير من القضايا ذات الصلة بالصيد والجرف القاري للأسماك وتعرض الشعاب المرجانية في البحر الأحمر للتدمير، وتطلعات أبناء تهامة من الحوار الوطني الشامل وغيرها من القضايا .... إلى نص الحوار:

حاوره / محمد محمد إبراهيم
mibrahim734777818@gmail.com

■ دكتور عزي هبة الله.. باعتبارك أستاذ علوم البيئة ومساعد رئيس جامعة الحديدة للدراسات العليا والبحث العلمي.. دعنا نبدأ هذا الحوار البيئي من الظاهرة البيئية المتمثلة في النيران التي تصاعدت من باطن الأرض في حي السلام بمدينة الحديدة.. هلا وضعتنا أمام توصيف علمي لهذه الظاهرة؟

- ربما نعتبر المدخل البيئي قبل العلمي لتوصيف هذه النار البركانية، إنها تعبير -بلغة الأرض التهامية- عن غضب الإنسان التهامي من الواقع الذي يسود في البلاد.. فقد ضاقت الأرض بما تعانيه من جرائم بيئية.. من المواد الملوثة التي طالت البر والبحر وتراكم دفنها عبر عقود.. والبعض يحاول أن يقلل من أهمية الحدث، ويقول أن هذا عبارة عن غاز الميثال وهذا توصيف علمي غير دقيق - حسب علمي وقناعاتي -لأن غاز الميثال لا يأتي بعد سنين أو أشهر فيحترق أو يتصاعد اللهب منه.. كما يحدث بمقالب النفايات، التي تبقى أياماً محددة نتيجة التفاعلات التي تحدث ونرى الأدخنة والنيران تتصاعد منها.. لكن المنطقة التي ذكرتها دفنت فيها كميات كبيرة من النفايات تحوي مواد كيمياوية أساسها المبيدات من فترة طويلة، وربما من الثمانينيات.. وهذا الكلام مدعوم بشهادة أبناء المنطقة، حيث دفنت فيها.. كما أن الفِرَق الحكومية التي نزلت - أكثر من مرة - رأت صفائح من المواد الملوثة المشعة والخطرة.. التي تنتشر حتى في البر والبحر خصوصاً في المنطقة التي تقع جنوب الحديدة وتحاذي البحر.. وبالتالي الحريق ناتج عن تفاعل تلك المواد والملوثات المزمنة وهذا تعبير الأرض عن ما بباطنها..

■ ما مدى الضرر البيئي لهذه الملوثات؟ هل زرت المنطقة بحكم تخصصك في علوم البيئة لتتعرف على طبيعة المواد الملوثة التي دفنت؟

- أياً كانت الملوثات قليلة أو كثيرة هي مضرة بالبيئة، فما بالك بكميات طمرت في الأرض منذ زمن والآن تتقيأ الأرض هذا الضرر في شكل نيران تهدد بكارثة صحية وبيئية وتقضي على صلاحية الأرض والتربة ليس للزراعة فحسب بل وللبناء والسكن.. وبالنسبة لزيارتي لها حتى الآن لم أستطع الوصول إلى المنطقة -لانشغالي في صنعاء كعضو في مؤتمر الحوار الوطني الشامل - وبالتالي لا أستطيع تقديم توصيف دقيق عن نوع وخصائص المواد الملوثة والموجودة، وتقييم مدى حجم هذه الخطورة على البيئة والإنسان على حد سواء.. وفي هذا الإطار العلمي أنا لا أعتمد على ما تنشره الوسائل الإعلامية أو المصادر الرسمية في الإدارات المحلية التي كانت عبر السنين المتعاقبة أداة لضرب الإنسان والأرض في تهامة وهؤلاء يزورون الحقائق لصالح مجموعة بسيطة جدا أنهكت تهامة أرضاً وإنسانا..

■ دكتور عزي هبة الله.. ومن المسؤول؟

- الجميع يعلم المسئول الأول الذي تاجر بالأرض والإنسان سواء في تهامة أو غير تهامة، وبالتالي جاءت هذه النفايات المحلية والدولية، نتيجة التواطؤ من قبل السلطات نفسها من زمن بعيد وتاجرت الحكومة - عبر مراكز نفوذها، أو بالأحرى مراكز النفوذ التي تسيطر وتسير الحكومة- بقضايا البيئة، سواء الحكومة في المركز، أو في السلطة المحلية.. فهاتان الإدارتان اللتان جعلت من أرض تهامة براً وبحراً مقلباً للنفايات الخطرة.. وبالتالي نحن نناشد كافة المنظمات الدولية والإنسانية سرعة التوجه لهذه المناطق التي تشهد بهذه الملوثات إبادة لخصوبة الأرض وصحة الإنسان..

■ كيف جاءت هذه النفايات..؟ ومن المسؤول؟

- بالنسبة للنفايات هي معروفة بتأثيراتها السيئة والسلبية، بشكل عام براً وبحراً، ففي البحر تشكل دماراً للأحياء البحرية عموماً ومنها الشعب المرجانية.. وبحسب نوع الملوث.. وفي البر تقضي على الخصوبة الزراعية وتوسع رقعة التصحر، وحسب علمي أن هناك يورانيوم ورصاصاً، ومخلفات النفط والصناعات الكيمياوية مدفونة، في كثير من مناطق تهامة، ومنها ما هو مرمي في البحر، سواء من الجانب المحلي أو الإقليمي، حيث تأتي سفن كبيرة للمياه الإقليمية اليمنية ترمي النفايات وهذا تكرر أكثر من مرة.. وبمعنى أن البحر أصبح عبارة عن مقلب للنفايات الخطرة والمشعة.. والحال هو كذلك في البر، فالآن لو تنزل لتهامة وتأخذ عينات من مختلفة من مناطقها ستجد أن هناك حالة من انتشار السرطان بشكل مخيف يكاد يكون أقوى من الملاريا وأقوى من الأوبئة الفتاكة الأخرى..

> **هناك نفايات دفنت في كثير من مناطق تهامة وتهدد بكوارث صحية بيئية**

المشكل الأهم

■ هلا وضحت لنا نوع هذه النفايات؟ وما حلول مشاكلها البيئية..؟

- بالنسبة لنوع وطبيعة هذه النفايات فهي مختلفة ومتنوعة.. هناك النفايات التقليدية الموجودة في كل بلد في العالم وهذه بحاجة إلى إدارة حقيقية تتولاها وتدعمها الدولة، من خلال صناعة التدوير للنفايات الثقيلة والمتوسطة والخفيفة كالقمامة .. المشكلة الثانية نفايات المصانع سواء كانت منشآت غذائية كمصانع المشروبات والمعلبات الغازية والغذائية الأخرى وما ينتج عن مخلفاتها من أضرار سلبية، وكذلك مخلفات المستشفيات والصناعات الزجاجية، وهذه تتطلب إما صناعة تدوير أو محارق خاصة.. إضافة إلى ذلك ملوثات مصانع الإنشاءات كالكسارات وورش النجارة وكذا مصانع الإسمنت، وهذه تتطلب التركيز على إبعادها من المدن والأحياء السكنية..

وتأتي النفايات الأخطر في مخلفات الصناعات الكيمياوية من صناعات النفط وورش المعدات الثقيلة والزيوت الحارقة وما تسببه من إهلاك لصلاحية التربة في البر وتسميم الأحياء البحرية في البحر، وحل هذه المشكلة يحتاج إلى إمكانيات إدارية وفنية لا نستطيع تحديدها إلا بمحاولة الاستفادة من تجارب الدول المتقدمة بيئياً، أضف إلى ذلك المصانع الأخرى ذات الصلة بالمنتجات البلاستيكية ومصانع البطاريات والزيوت، ومشتقات الحليب، وما لها من آثار وروائح، وغيرها من المصانع التي تنتشر في الحديدة بشكل كبير، ويشتكي منها المواطنون، وهذه النفايات المختلفة صارت كارثة لم يعد علاجها ممكناً إلا بتضافر جهود الدولة والمراكز العلمية والبحثية ومنظمات المجتمع المدني، خصوصاً وقد بلغت نتائجها المدمرة مبلغ البيع للأرض والإنسان..

الشعاب المرجانية

■ أشرت في بداية حديثك إلى الضرر الذي تعرضت له الشعاب المرجانية المشهور بها البحر الأحمر.. هلا سلطت الضوء على هذه القضية؟

- البحر الأحمر مشهور عالمياً بأنه بيئة خصبة للشعاب المرجانية، وتكاثرها وتوالدها، ونموها، وأي مساس بها يعد خطورة على البيئة البحرية، لكن رغم ذلك فإنها دُمرت تماماً ليس من الملوثات فحسب بل من الاصطياد أو الجرف القاري.. وللعلم تنمو هذه الشعاب ببطء كبير جداً، حيث يشهد السنتميتر الواحد مرحلة نمو طويلة تصل إلى عشر سنوات، وتصور شعاب مرجانية عمرها مئات السنين تدمر بين عشية وضحاها، وبالتالي أي ملوثات أو جرف بسيط تتأثر به الثروة، فنحن نحتاج إلى مئات السنين لتستعيد عافيتها.. ناهيك عن غيرها من الأحياء البحرية وهي تتعرض ضمنياً للتلوث، وما هو أخطر من ذلك الآن عليها هو الجرف القاري من خلال الشركات الاحتكارية التي تجرف وتدمر البحر ومواطن التوالد في مواسم التكاثر وفي غيرها، وقد أدى ذلك في بعض المناطق إلى تصحر البحر من الأحياء البحرية..

■ لمن هذه الشركات ..؟

- هذه الشركات لأشخاص نافذين وعلى مستوى كبير، كان وما يزال لهم نفوذ في هرم الدولة، ولا زالوا يتعاملون مع البحر بنفس الطريقة خصوصاً البحر الأحمر المحاذي للسواحل التهامية التي تعرضت وتتعرض للمتاجرة براً وبحراً، كأنه ملكه الخاص، وحين أتحدث عن البحر الأحمر فأنا أعني به الممتد من ميدي حدود المملكة العربية السعودية، حتى باب المندب...

■ - مقاطعاً - حالياً- ما المطلوب من الدولة لحماية هذه الثروة من التلوث..؟ ومن المعني بذلك..؟

- كان هناك برنامج لحماية الشعاب المرجانية، لكن -للأسف الشديد- هذا البرنامج فُرّط فيه، وصُودِرَ بتعريضه للفساد والإفساد من قبل إدارة الجامعة والعمادة السابقة لكلية علوم البحار والبيئة، حيث نُهِبَت أموال وأجهزة وزوارق كانت خاصة بالسباحة، وبُيِعَت وتم تأجيرها لجهات وشركات نافذة.. وأنا أدعو هيئة مكافحة الفساد والجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة، وكافة الجهات المعنية إلى محاسبة من أفسد في هذا البرنامج.. كما أدعو الجهات المعنية بالأحياء البحرية من أجهزة الدولة كوزارة الثروة السمكية ومراكز البحوث والكليات والمعاهد، وفي الجهات المختصة، وكذا المنظمات الإقليمية كـ(البريسجا) التي غاب دورها تماما عن البحر الأحمر، وهي منظمة معروفة تطل على البحر الأحمر، وتعمل وفق برتوكولات واتفاقيات دولية تسعى لحماية البحر الأحمر وخليج عدن، وكان وما يزال مقرها في جدة، والآن يتعرض البحر الأحمر للعبث بأحيائه من شماله إلى جنوبه.. والمطلوب من الدولة هو وضع برنامج وطني وإقليمي كبير لحماية البيئة البحرية في البحر الأحمر..

> **الشعاب المرجانية تعرضت للتدمير بسبب الجرف القاري والنفايات المشعة**

> **النيران التي انبعثت من باطن الأرض بحي السلام ناتجة عن دفن مواد كيمياوية أساسها المبيدات**

> **المصايد اليمنية تصحرت تماماً مما أدى إلى هجرة الصيادين ومعاناتهم في المياه الاقليمية**

■ الدكتور عزي هبة الله

السيادة البحرية

■ تعريجا على إشارتك للمشاكل التي يتعرض لها الصيادون في المياه الاقليمية الدولية.. ما هي رؤيتكم لواقع السيادة اليمنية البحرية من حيث الصيد..؟ ولماذا يصلون إلى مربعات المياه الإقليمية..؟

- ما يتعلق بالسيادة البحرية اليمنية وقضية الصيد هناك الكثير من المشاكل التي أنهكت الصيادين اليمنيين.. والرئيس عندما زار تهامة والتقينا به في الحديدة، وعدنا بحل المشاكل، وإلغاء بعض الاتفاقيات وحماية البحر الأحمر، وحل المشاكل التي نشبت بين الصيادين اليمنيين وصيادين أفارقة أبرز تلك المشاكل التي نشبت بين الصيادين اليمنين والسفينة المصرية، وكذا المشاكل التي تحدث بتكرار بين الصيادين اليمنيين والجارة أريتريا، من خلال إعادة النظر والدارسة للقوانين على أساس رسم مستقبل اليمن الجديد، لأن بعض القوانين عبثية جداً بمعنى الكلمة، أباحت لغير اليمنين العبث بثروة المواطن اليمني المحروم منها أساساً بسبب نافذين، ولا نريد ذكر الأسماء، رغم أنها قد طرحت في أكثر من محفل وهي تنتمي إلى أُسَر ما زالت تمارس هذا النفوذ، ولها علاقة بالشركات المصرية التي دمرت البحر الأحمر.. وصحرت المصايد الصغيرة الكبيرة الخاصة بالصيادين اليمنيين البسطاء.

وهذا هو سبب هجرة ووصول الصياد اليمني إلى المياه الإقليمية الأريترية بالذات وما حصل لهم وكانت آخر حادثة احتجاز)8 (من الصيادين اليمنيين من المياه الإقليمية وتم حبسهم في ميناء مصوع، وأخذهم إلى "مرسى فاطمة" الأريتري، والآن) 8 (أشهر تقريباً على احتجازهم.. كما أن هذه المعاناة سبب واحد من أسباب كثيرة على ما يجري في تهامة من حراك..

وبالتالي ما أود تأكيده هو أنه لا بد من إعادة صياغة القوانين، وإعطاء خصوصية للمناطق التي أبيحت في الماضي في المياه اليمنية كمواطن الصيد، ولا بد من أن يتم التمييز بين المصايد الصغيرة، والمصايد التجارية، وأنواع أدوات الصيد، بحيث تكون واضحة وفقاً للبيئات المحلية الخاصة لأنه لكل بحر خصوصية.. فما هو في البحر العربي بحضرموت، وفي خليج عدن، مختلف تماماً عن ما هو في البحر الأحمر.. من حيث العمق والمساحة..

فعندما تقول) 100 (متر للمصايد الصغيرة في البحر العربي، هذه المساحة لا تتوفر في البحر الأحمر فتكون المصايد الصغيرة على) 50(متراً فقط فتأتي السفن الجارفة على المساحات فتدمرها.. أو تدخل في مساحات محرمة نتيجة أن القانون يحمي جهة ولا يحمي الجهة الأخرى.. وبالتالي يتخبط الصيادون بحثاً عن مصايد جيدة ومصادر رزق جديد..

الحراك التهامي

■ دخولاً إلى القضية التهامية.. وعلى ذكر معاناة الصيادين كسبب لحراك أبناء تهامة الذين تمثلهم أنت في الحوار الوطني.. لماذا ظهر هذا المسمى في الحوار؟ وما هو جوهر القضية التهامية..؟

- أريد أن أعود إليك بنفس السؤال عن جوهر كل القضايا المطروحة على طاولة الحوار الوطني الشامل، ولكن يجب أن تتتبع معي التاريخ منذ ما قبل أكثر من نصف قرن أو مئة عام، من هنا نستطيع أن ننصف القضية التهامية ونعرف جوهرها.. وإشارة إلى سؤالك الذي يقول إنها ظهرت في مؤتمر الحوار الوطني.. أود أن أقول لك ولكل من يقول هذا الكلام، ولكل من أراد أن يعرف ويفهم القضية التهامية فعليه أن يدخل في عمق التاريخ ويقرأ الفتاوى، التي ظهرت في أيام الإمامة وما قبلها، بل إن القضية التهامية من أيام الاحتلال البريطاني والعثماني وما قبلهما.. ومن يقرأ في التاريخ سيعرف كيف تعامل الأتراك مع تهامة؟.. وكيف تعاملت الإمامة من بعدهم مع تهامة؟.. وكيف ومتى تحولت المملكة المتوكلية الهاشمية، إلى المملكة المتوكلية اليمنية..؟.. وبالتالي سيجد القارئ أن هذا التحول في الاسم هو بعض من تسوية ضم تهامة إلى ملك الإمام يحيى بن حميد الدين عندما سقطت آخر معاقل تهامة وهم الزرانيق، واحتلت الإمامة كل المناطق التهامية الساحلية التي تبدأ بباب المندب وتنتهي بحدود السعودية ما بعد ميدي.. والمقصود بأهل اليمن حديثه صلى الله عليه وسلم هم أبناء تهامة...

■ - مقاطعاً- لكن المعطى التاريخي منذ القدم لا يفرق بين تهامة كجزء هام من الخارطة اليمنية ..؟ والكثير يقول إن حراكها صوت لغرض طمس القضية الجنوبية وقضية صعدة..؟

- دعني أعبر عن رأيي فلا تقاطعني لتسيرني وفق هواك.. فهذا هو عمق تهامة التاريخي واقراً .. وعلى من لا يعرف تهامة أن يقرأ التاريخ.. وكما ذكرت لك سابقاً ليس للحوار الوطني علاقة بظهور القضية التهامية فهي تاريخية، وأنا أؤكد للجميع أن قضية تهامة ليست محاولة لطمس القضية الجنوبية أو غيرها، ومن يظن ذلك فهو غلطان- مع احترامي له- فعندما جاءت الوحدة خففت من معاناتنا فقط فبعد1990 م، تحول النهب والفيد من تهامة إلى الجنوب، وما عانيناه هو أكبر، فنحن تعرضنا للقصف بالطائرات قبل الجنوبيين في عام1967 م، بعد ثورة 26 من سبتمبر وكانت آخر مواجهة للتخلص من الإلحاق القسري لتهامة بصنعاء الذي مارسته الإمامة علينا.. وهي الثورة التي لم يدخل منها تهامة سوى الفيد والنهب والسلب ..

■ أخيراً ما هي تطلعات أبناء محافظة الحديدة من الحوار الوطني؟

- آمالنا وتطلعاتنا كبيرة جدا من الحوار الوطني أنه سينصف تهامة، بحيث تكون إقليماً بعاصمته الحديدة ضمن الدولة الفيدرالية، وغير ذلك أعتقد أنه لا مجال للحديث عن إنصاف تهامة وستزداد قضيتها تعقيداً..

النفايات والخطر القادم

■ يشكو كثير من أبناء الحديدة وأبناء تهامة بشكل عام من كثرة النفايات خصوصاً في الشريط الساحلي، وبعض الوديان الخصبة كيف تنظرون إلى خطر هذه النفايات..؟